

(وَ مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يُسَمَّى هَذِهِ الْخُطْبَةَ بِالْقَاصِعَةِ. وَ هِيَ تَتَّصِفُ بِذَمِّ إِبْلِيسَ -لَعْنَةُ اللَّهِ- عَلَى اسْتِكْبَارِهِ وَ تَرْكِهِ السُّجُودَ لِأَدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعَصِيَّةَ، وَ تَبَعَ الْحَمِيَّةَ، وَ تَحْذِيرَ النَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَ الْكِبْرِيَاءَ، وَ اخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَ جَعَلَهُمَا حَمِيًّا وَ حَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَ اصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ. وَ جَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيُمَيِّزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَ مَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى أَدَمَ بِخَلْقِهِ، وَ تَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَ سَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ، وَ نَازَعَ اللَّهَ رِءَاءَ الْجَبَرِيَّةِ، وَ ادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَ خَلَعَ قِنَاعَ التَّدَلُّلِ. أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ، وَ وَضَعَهُ بِتَرْفَعِهِ؟ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُورًا، وَ أَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا.

وَ لَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ أَدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَ يَبْهَرُ الْعُقُولَ رِوَاؤُهُ، وَ طَيِّبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ، لَفَعَلَ، وَ لَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَ لَخَفَّتِ الْبُلُوبُ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمَيِّزًا بِالِاخْتِيَارِ لَهُمْ، وَ نَفِيًّا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَ إِبْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ. فَاعْتَبَرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَ جَهْدَهُ الْجَهِيدَ- وَ قَدْ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ سِتَّةَ أَلْفِ سَنَةٍ لَا يُدْرِي أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي

الآخِرَةَ - عَنْ كَبِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ. كَلَّا! مَا كَانَ اللَّهُ، سُبْحَانَهُ، لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنْ حَكَمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٍ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاحْذَرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعَدِّكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفْزِرَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالزَّرْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَقَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، قَدْ فَا بَغِيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْمًا بظَنِّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكَبِيرِ، وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَجَمَعَتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ. فَاقْحَمُواكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُواكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ: طَعْنَا فِي عِيُونِكُمْ، وَحَزَا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقَّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصَدْنَا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوَّقْنَا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَاصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ. فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حِدْكُمْ، وَ لَهُ جِدْكُمْ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجُلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَقْتَسِبُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلِهِ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ، وَحَلْقَةِ ضَيْقٍ، وَعَرَصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ، فَاطْفِنُوا مَا كَمَنَّ فِي

قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدَلُّلِ عَلَى رُؤْسِكُمْ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلِحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ: إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ. فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعِظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عِدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَعَقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ إِثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَقَدْ أَمَعْتُمْ فِي الْبُغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ، مُصَارِحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصِبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ! فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَانِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، اللَّاتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْأَمْضِيَّةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعَنَقُوا فِي حِنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي ضَلَاتِهِ ذُلًّا عَنْ سِيَاقِهِ، سُلْسًا فِي قِيَادِهِ، أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونَ عَلَيْهِ، وَكَبِيرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ. أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبَرَاتِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَالْقَوَا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِأَلَانِهِ! فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أُسَاسِ الْعَصِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا، وَلَا تَطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أُسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ

العقوق، اتخذهم إبليس مطايا ضلال، و جندا بهم يصول على الناس، و تراجعمة ينطق على ألسنتهم، استراقا لعقولكم، و دخولاً في عيونكم، و نثا في أسماعكم، فجعلكم مرمى نبله، و موطىء قدمه، و مأخذ يده. فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله و صولاته و وقائعه و مثلاته، و اتعظوا بمثاوي خذودهم، و مصارع جنوبهم، و استعيذوا بالله من لواقح الكبر، كما تستعيذونه من طوارق الدهر.

فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه و أوليائه، و لكنّه -سبحانه- كره إليهم التكابر، و رضى لهم التواضع، فالصقوا بالأرض خذودهم، و عفروا في التراب و جوههم، و خفضوا أججحتهم للمؤمنين، و كانوا أقواماً مستضعفين، قد اختبرهم الله بالمخمصه، و ابتلاهم بالمجهده، و امتحنهم بالمخاوف، و مخضهم بالمكاره. فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد، جهلاً بمواقع الفتنة، و الاختيار في مواضع الغنى و الافتقار، فقد قال سبحانه و تعالى: أَيْحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ، بَلْ لَا يَشْعُرُونَ فَإِنَّ اللَّهَ -سبحانه- يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ. وَ لَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَ مَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا- عَلَى فِرْعَوْنَ وَ عَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَ بِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَ دَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَ بَقَاءَ الْمُلْكِ وَ هُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرٌ مِنْ ذَهَبٍ؟! إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَ جَمْعِهِ، وَ احْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَ لُبْسِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِيقَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا. وَلَكِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَى قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعْفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى، وَخِصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى. وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَامَنُوا عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، وَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِيُوجِهِهِ، وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلَايُ وَالْإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ، كَانَتِ الْمُثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ- إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقْلَّ تَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا، وَأَضْيَقِ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قَطْرًا: بَيْنَ جِبَالٍ خَشْنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِيئَةٍ، وَعُيُونٍ وَسَلَّةٍ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظَلْفٌ. ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ

- عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْتُوا أَعْطَاهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَ غَايَةَ لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوَى إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْنِدَةِ، مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارِ سَحِيقَةِ، وَ مَهَاوِي فِجَاجِ عَمِيقَةِ، وَ جَزَائِرِ بَحَارِ مُنْقَطِعَةِ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا يَهْلُلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شَعْنًا غُبْرًا لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَ شَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيمًا، وَ امْتِحَانًا شَدِيدًا وَ اخْتِبَارًا مُبِينًا، وَ تَمْحِصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَ وَصَلَهُ إِلَى جَنَّتِهِ، وَ لَوْ أَرَادَ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَ مَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَاتٍ وَ أَنْهَارٍ، وَ سَهْلٍ وَ قَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارِ، دَانَى الثَّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى، مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةِ سَمَرَاءَ، وَ رَوْضَةِ خَضْرَاءَ، وَ أَرْيَافِ مُحَدَّقَةِ، وَ عِرَاصِ مُغْدِقَةِ، وَ زُرُوعِ نَاضِرَةِ، وَ طُرُقِ عَامِرَةِ، لَكَانَ قَدْ صَغَرَ قَدْرَ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ، وَ لَوْ كَانَتْ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَ الْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرْدَةِ خَضْرَاءَ، وَ يَاقُوتَةِ حَمْرَاءَ وَ نُورِ وَ ضِيَاءِ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصَّدُورِ، وَ لَوَضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَ لَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَ يَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَ يَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبُرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَ إِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفُوسِهِمْ، وَ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَ أَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ.

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السَّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَدًا، وَ لَا تُشْوِي أَحَدًا، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَ لَا مُقَلًّا فِي طَمَرِهِ وَ

عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ، وَمُجَاهِدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيزًا لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَابًا لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عَتَائِقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضَعًا، وَالتَّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُرًا، وَ لِحُوقِ البُطُونِ بِالمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكِنَةِ وَالْفَقْرِ. انظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الفَخْرِ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ الكِبَرِ.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لشيءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلاَّ عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمَوِيَةَ الجُهْلَاءِ، أَوْ حُجَّةً تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ. أَمَا إبليسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى أَدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ. وَأَمَا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَّمِ، فَتَعَصَّبُوا لِإِثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ فَإِنْ كَانَ لِأَبَدٍ مِنَ العَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصَّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا المُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ بِيُوتَاتِ العَرَبِ وَيَعَاسِبِ القَبَائِلِ بِالأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالْأَحْلَامِ العَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الجَلِيلَةِ، وَالْإِثَارِ المَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الحَمْدِ: مِنَ الحِفْظِ لِلجَوَارِحِ، وَالوَفَاءِ بِالدِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلبِرِّ، وَالمَعْصِيَةِ لِلكِبَرِ، وَالأَخْذِ بِالفَضْلِ، وَالكَفِّ عَنِ البَغْيِ، وَالِإِعْظَامِ لِلقَتْلِ، وَالأِنْصَافِ لِلخَلْقِ، وَالكَظْمِ لِلغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

وَ احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، و ذميمة الأعمال،
 فتذكروا في الخير و الشر أحوالهم، و احذروا أن تكونوا أمثالهم. فإذا تفكرتم في
 تفاوت حاليتهم فالزموا كل أمر لزم العزة به حالهم، و زاحت الأعداء له عنهم،
 و مدت العافية فيه بهم، و انقادت النعمة له معهم، و وصلت الكرامة عليه حبلمهم،
 من الإجتباب للفرقة، و اللزوم للألفة، و التحاض عليها، و التواصي بها، و اجتنبوا
 كل أمر كسر فقرتهم، و أوهن منتهم، من تصاغن القلوب، و تشاحن الصدور، و
 تدابر النفوس، و تحاذل الأيدي و تدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم،
 كيف كانوا في حال التمحيص و البلاء؟ ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء، و أجهد
 العباد بلاء، و أضيق أهل الدنيا حالاً؟ اتخذتهم الفراعنة عبيداً، فساموهم سوء
 العذاب، و جرعوهم المرار، فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة، و قهر الغلبة: لا
 يجدون حيلة في امتناع، و لا سبيلاً إلى دفاع. حتى إذا رأى الله - سبحانه - جد
 الصبر منهم على الأذى في محبته، و الاحتمال للمكروه من خوفه، جعل لهم من
 مضايق البلاء فرجاً، فأبدلهم العز مكان الذل، و الأمن مكان الخوف، فصاروا
 ملوكاً حكاماً، و أئمةً أعلاماً، و قد بلغت الكرامة من الله لهم، ما لم تذهب
 الامال إليه بهم. فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعاً، و الأهواء
 مؤتلفة، و القلوب معتدلة، و الأيدي مترادفة، و السيوف متاصرة، و البصائر
 نافذة، و العزائم واحدة؟! ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، و ملوكاً على
 رقاب العالمين؟ فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة، و
 تشتت الألفة، و اختلفت الكلمة و الأفتدة، و تشعبوا مختلفين، و تفرقوا

مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِيَاسَ كِرَامَتِهِ، وَ سَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَ بَقِيَ قِصَصُ
أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَ بَنِي إِسْحَاقَ وَ بَنِي إِسْرَائِيلَ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- فَمَا
أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وَ أَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ، تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَ
تَفَرُّقِهِمْ، لِيَالِي كَانَتِ الْأَكْسِيرَةُ وَ الْقِيَاصِيرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ، يَحْتَاذُونَ عَنْ رِيفِ الْأَفَاقِ
وَ بَحْرِ الْعِرَاقِ وَ خُضْرَةَ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْخِ، وَ مَهَابِي الرِّيحِ، وَ نَكَدِ الْمَعَاشِ،
فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانِ دَبْرٍ وَ وَبَرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمَ دَارًا، وَ أَجَدَّبَهُمْ قَرَارًا، لَا
يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَ لَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا،
فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَ الْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَ الْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بِلَاءِ أَزَلٍّ، وَ أَطْبَاقِ
جَهْلٍ مِنْ بَنَاتِ مَوْؤَدَةٍ، وَ أَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ، وَ أَرْحَامِ مَقْطُوعَةٍ، وَ غَارَاتِ مَشْنُونَةٍ.
فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِلْمَتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَ
جَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كِرَامَتِهَا، وَ أَسَالَتْ لَهُمْ
جِدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَ التَّفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرَقِينَ،
وَ فِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ. قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ، وَ أَوْتَهُمْ
الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزِّ غَالِبٍ، وَ تَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ
حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَ مُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ، يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ
يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَ يَمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يَمْضِيهَا فِيهِمْ، لَا تُغْمِزُ لَهُمْ قَنَاءٌ، وَ
لَا تَقْرَعُ لَهُمْ صَفَاءٌ!!

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَتَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ
 عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- قَدْ أَمَّنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
 فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ -الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ إِلَيْهَا كَنَفِهَا-
 بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ، وَأَجَلٌ مِنْ
 كُلِّ خَطَرٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَابًا، مَا
 تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ! تَقُولُونَ: النَّارُ وَ
 لَا الْعَارُ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِنُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِ اتِّهَاكَ لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا
 لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ
 إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جِبْرَائِيلَ وَلَا ميكائِيلَ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا
 أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ. وَإِنَّ عِنْدَكُمْ
 الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ
 وَتَهَاوَنًا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ
 أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ
 لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّاهِي.

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ، وَعَطَلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَّتُمْ أَحْكَامَهُ، أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ
 بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُمْ، وَأَمَّا
 الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُمْ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُمْ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهِهِ فَقَدْ
 كُفَيْتُهُ بِصَعْفَةٍ سَمِعَتْ لَهَا وَجْبَةٌ قَلْبِهِ وَرَجَّةٌ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَ
 لَئِنْ أَدْنَى اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلِنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ تَشَدَّرًا.

أَنَا وَضَعْتُ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَ مُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ
 مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ
 الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ،
 وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ. وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقَمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي
 كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- مِنْ
 لَدُنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ
 أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي
 كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ
 بَحْرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ
 اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَ
 أَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
 آلِهِ. فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِي، إِنَّكَ
 تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍِّّ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى
 خَيْرٍ.

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- لَمَّا آتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا
 مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ
 أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَارْتِنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ
 سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَا تَسْأَلُون؟ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ
 حَتَّى تَقْلَعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنَّ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ:
 فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيضُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ
 يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا أَيُّهَا
 الشَّجَرَةُ إِنَّ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي
 بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ. فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا وَ
 جَاءَتْ وَ لَهَا دَوِيُّ شَدِيدٍ وَ قَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ
 رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- مُرْفَرَةً، وَ أَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- وَبَعْضُ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ -صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ-. فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عَلُوًّا وَ اسْتِكْبَارًا: فَمَرُّهَا فَلْيَأْتِكِ
 نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ
 دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالُوا كُفْرًا وَ عُتُوًّا: فَمَرُّ هَذَا
 النِّصْفِ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا:
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ
 مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقًا بِنُبُوتِكَ وَ إِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ
 سَاحِرٌ كَذَّابٌ! عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَ هَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟!
 يَعْنُونَنِي. وَ إِنِّي لَمِنَ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، سِيَمَاهُمْ سِيَمَا الصَّادِقِينَ، وَ
 كَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عَمَّارُ اللَّيْلِ وَ مَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ
 سُنَنَ اللَّهِ وَ سُنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَ لَا يَغْلُونَ وَ لَا يَغْلُونَ، وَ لَا يُفْسِدُونَ:
 قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَ أَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

والایی پروردگار

ستایش خداوندی را سزاست که لباس عزت و بزرگی پوشید، و آن دو را برای خود برگزید، و از دیگر پدیده‌ها بازداشت، آن دو را مرز میان خود و دیگران قرار داد، چون بزرگی تنها سزاوار اوست، و لعنت کرد آن کس را که در آرزوی عزت و بزرگی با خدا به ستیزه برخیزد، از این رو فرشتگان مقرب خود را آزمود، و فروتنان را از گردنکشان جدا فرمود، با آنکه از آنچه در دلهاست، و از اسرار نهان آگاه است، به فرشتگان فرمود. (من بشری را از گل و خاک می‌آفرینم، آنگاه که آفرینش او به اتمام رسید، و روح در او دمیدم، برای او سجده کنید، فرشتگان همه سجده کردند مگر ابلیس. که حسادت او را فرا گرفت.)

نکوهش تکبر و خودپسندی شیطان

شیطان بر آدم (ع) به جهت خلقت او از خاک، فخر فروخت، و با تکیه به اصل خود که از آتش است دچار تعصب و غرور شد، پس شیطان دشمن خدا و پیشوای متعصبها و سرسلسله متکبران است، که اساس عصیبت را بنا نهاد، و بر لباس کبریایی و عظمت با خدا درافتاد، لباس بزرگی را بر تن پوشید، و پوشش تواضع و فروتنی را از تن کند. آیا نمی‌نگرید که خدا به خاطر خود بزرگ بینی، او را کوچک ساخت؟ و به جهت بلندپروازی او را پست و خوار گردانید؟ پس او را در دنیا طردشده، و آتش جهنم را در قیامت برای او مهیا فرمود؟
آزمایشهای درمان تکبر

خداوند اگر اراده می‌کرد، آدم (ع) را از نوری که چشمها را خیره کند، عقلها را زیبایش مبهوت سازد، و عطر و پاکیزگیش حس بویایی را تسخیر کند می‌آفرید، که اگر چنین می‌کرد، گردنها در برابر آدم فروتنی می‌کردند، و آزمایش فرشتگان برای سجده آدم (ع) آسان بود، اما خداوند مخلوقات خود را با اموری که آگاهی ندارند آزمایش می‌کند، تا بد و خوب تمیز داده شود، و تکبر و خودپسندی را از آنها بزدايد، و خود بزرگ بینی را از آنان دور کند. پس، از آنچه خداوند نسبت به ابلیس انجام داد عبرت گیرید، زیرا اعمال فراوان و کوششهای مداوم او را با تکبر از بین برد، او شش هزار سال عبادت نمود که مشخص می‌باشد از سالهاست دنیا یا آخرت است، اما با ساعتی تکبر همه را نابود کرد، چگونه ممکن است پس از ابلیس، فرد دیگری همان اشتباه را تکرار کند؟ و سالم بماند؟ نه هرگز، خداوند هیچگاه انسانی را برای عملی وارد بهشت نمی‌کند که برای همان عمل فرشته‌ای را محروم سازد، فرمان خدا در آسمان و زمین یکسان است، و بین خدا و خلق، دوستی خاصی وجود ندارد که به خاطر آن، حرامی را که بر جهانیان ابلاغ فرموده حلال بدارد.

هشدار از دشمنی‌های شیطان

ای بندگان خدا! از دشمن خدا پرهیز کنید، مبادا شما را به بیماری خود مبتلا سازد، و با ندای خود شما را به حرکت درآورد، و با لشکرهای پیاده و سواره خود بر شما بتازد، بجانم سوگند! شیطان تیر خطرناکی برای شکار شما بر چله کمان گذارده، و تا حد توان کشیده، و از نزدیکترین مکان شما را هدف قرار داده است، و خطاب به خدا گفته: (پروردگارا! به سبب آنکه مرا دور کردی، دنیا را در چشمهایشان جلوه می‌دهم، و همه را گمراه خواهم کرد.) اما تیری در

تاریکیها رها کرد، و سنگی بدون نشانه روی رها ساخت، اگرچه فرزندان خودپسندی، و برادران تعصب و خودخواهی، و سواران مرکب جهالت و خودپرستی، او را تصدیق کردند. افراد سرکش شما تسلیم شیطان شدند، و طمع ورزی او در شما کارگر افتاد، و این حقیقت بر همه آشکار گردید، و حکومت شیطان بر شما استوار شد، و با لشگر خویش به شما یورش برد، و شما را به ذلت سقوط کشانید، و شما را به مرز کشتار و خونریزی کشاند، و شما را با فرو کردن نیزه در چشمها، بریدن گلوها، کوبیدن مغزها پایمال کرد، تا شما را به سوی آتشی بکشاند که از پیش مهیا گردید. پس شیطان بزرگترین مشکل برای دینداری، و زیانبارترین و آتش افروزترین فرد برای دنیای شماست، شیطان از کسانی که دشمن سرسخت شما هستند و برای درهم شکستنشان کمر بسته‌اید خطرناک‌تر است. مردم! آتش خشم خود را بر ضد شیطان بکار گیرید، و ارتباط خود را با او قطع کنید، بخدا سوگند! شیطان بر اصل و ریشه شما فخر فروخت، و بر حسب و نسب شما طعنه زد و عیب گرفت، و با سپاهیان سواره خود به شما هجوم آورد، و با لشکر پیاده راه شما را بست، که هر کجا شما را بیابند شکار می‌کنند، و دست و پای شما را قطع می‌کنند، نه می‌توانید با حيله و نقشه آنها را بپرانید. و نه با سوگند قادرید از سر راهتان دور کنید، زیرا کمین‌گاه شیطان ذلت‌آور، تنگ و تاریک، مرگ‌آور، و جولانگاه بلا و سختی‌هاست پس شراره‌های تعصب و کینه‌های جاهلی را در قلب خود خاموش سازید، که تکبر و خودپرستی در دل مسلمان از آفتهای شیطان، غرور و کششها و وسوسه‌های اوست. تاج تواضع و فروتنی را بر سر نهید، و تکبر و خودپسندی را زیر پا بگذارید، و حلقه‌های زنجیر خود بزرگ بینی را از گردن باز کنید، و تواضع و

فروتنی را سنگر میان خود و شیطان و لشکریانش قرار دهید، زیرا شیطان از هر گروهی لشکریان و یارانی سواره و پیاده دارد. و شما همانند قابیل نباشید که بر برادرش تکبر نمود، خدا او را برتری نداد، خویشتن را بزرگ می‌پنداشت، و حسادت او را به دشمنی واداشت، تعصب آتش کینه در دلش شعله‌ور نمود، و شیطان باد کبر و غرور در دماغش دمید، و سرانجام پشیمان شد، و خداوند گناه قاتلان را تا روز قیامت در گردن او نهاد.

پرهیز از تکبر و اخلاق جاهلی

آگاه باشید! در سرکشی و ستم زیاده‌روی کردید، و در زمین در دشمنی با خداوند فساد براه انداختید، و آشکارا با بندگان خدا به نبرد پرداختید، خدا را! خدا را، از تکبر و خودپسندی، و از تفاخر جاهلی بر حذر باشید، که جایگاه بغض و کینه و رشد و وسوسه‌های شیطانی است، که ملتهای گذشته، و امتهای پیشین را فریب داده است، تا آنجا که در تاریکیهای جهالت فرو رفتند، و در پرتگاه هلاکت سقوط کردند، و به آسانی به همان جایی که شیطان می‌خواست کشانده شدند. کبر و خودپسندی چیزی است که قلبهای متکبران را همانند کرده، تا قرن‌ها به تضاد و خونریزی گذرانند، و سینه‌ها از کینه‌ها تنگی گرفت.

پرهیز از سران متکبر و خودپسند

آگاه باشید! زنه‌ها! زنه‌ها! از پیروی و فرمانبری سران و بزرگانان، آنان که به اصل و حسب خود می‌نازند، و خود را بالاتر از آنچه که هستند می‌پندارند، و کارهای نادرست را به خدا نسبت می‌دهند، و نعمت‌های گسترده خدا را انکار می‌کنند، تا با خواسته‌های پروردگاری مبارزه کنند، و نعمتهای او را نادیده انگارند، آنان شالوده تعصب جاهلی، و ستونهای فتنه، و شمشرهای تفاخر جاهلیت هستند.

پس، از خدا پروا کنید، و با نعمت‌های خدادادی درگیر نشوید، و به فضل و بخشش او حسادت نورزید، و از فرومایگان اطاعت نکنید، آنان که تیرگی‌شان را با صفای خود نوشیدید، و بیماریشان را با سلامت خود درهم آمیخته‌اید، و باطل آنان را با حق خویش مخلوط کرده‌اید، در حالی که آنان ریشه همه فسق‌ها و انحرافات و همراه انواع گناهانند، شیطان آنها را برای گمراه کردن مردم، مرکبهای رام قرار داد، و از آنان لشگری برای هجوم به مردم ساخت، و برای دزدیدن عقلهای شما آنان را سخنگوی خود برگزید، که شما را هدف تیرهای خویش، و پایمال قدمهای خود، و دستاویز وسوسه‌های خود قرار داد.

ضرورت عبرت از گذشتگان

مردم! از آنچه که بر ملت‌های متکبر گذشته، از کيفرها و عقوبتها و سختگیريها، و ذلت و خواری فرود آمده عبرت گیرید، و از قبرها و خاکی که بر آن چهره نهادند، و زمینهایی که با پهلوها بر آن افتادند پند پذیرید، و از آثار زشتی که کبر و غرور در دلها می‌گذارد بخدا پناه ببرید، همانگونه که از حوادث سخت به او پناه می‌برید. اگر خدا تکبر ورزیدن را اجازه می‌فرمود، حتماً به بندگان مخصوص خود از پیامبران و امامان (ع) اجازه می‌داد، در صورتیکه خدای سبحان تکبر و خودپسندی را نسبت به آنان ناپسند، و تواضع و فروتنی را برای آنان پسندید، که چهره بر زمین می‌گذارند و صورتها بر خاک می‌مالند، و در برابر مومنان فروتنی می‌کنند، و خود از قشر مستضعف جامعه می‌باشند که خدا آنها را با گرسنگی آزموده، و به سختی و بلا گرفتارشان کرد، و با ترس و بیم امتحان‌شان فرمود، و با مشکلات فراوان، خالصشان گردانید. پس مال و فرزند را دلیل خشنودی یا خشم خدا ندانید، که نشانه ناآگاهی به موارد آزمایش، و امتحان در بی‌نیازی و قدرت

است، زیرا خداوند سبحان فرمود: (آیا گمان می‌کنند مال و فرزندی که به آنها عطا کردیم، به سرعت نیکی‌ها را برای آنان فراهم می‌کنیم؟ نه آنان آگاهی ندارند).

فلسفه آزمایشها

پس همانا خداوند سبحان بندگان متکبر را با دوستان خود که در چشم آنها ناتوانند می‌آزماید، وقتی که موسی بن عمران و برادرش هارون (ع) بر فرعون وارد شدند، و جامه‌های پشمین به تن، و چوبدستی در دست داشتند، و با فرعون شرط کردند، اگر تسلیم پروردگار شود، حکومت و ملکش جاودانه بماند و عزتش برقرار باشد، فرعون گفت: (آیا از این دو نفر تعجب نمی‌کنید؟ که دوام عزت و جاودانگی حکومت را به خواسته‌های خود ربط می‌دهند؟ در حالی که در فقر و بیچارگی بسر می‌برند؟ اگر چنین است چرا دستبندهای طلا به همراه ندارند؟) این سخن را فرعون برای بزرگ شمردن طلا و تحقیر پوشش لباسی از پشم گفت:

در حالی که اگر خدای سبحان اراده می‌فرمود، به هنگام بعثت پیامبران، درهای گنجها، و معدنهای جواهرات و باغات سرسبز را به روی پیامبران می‌گشود، و پرندگان آسمان و حیوانات وحشی زمین را همراه آنان به حرکت درمی‌آورد. اما اگر اینکار را می‌کرد، آزمایش از میان می‌رفت، و پاداش و عذاب بی‌اثر می‌شد، و بشارتها و هشدارهای الهی بی‌فایده می‌بود، و بر مومنان اجر و پاداش امتحان‌شدگان واجب نمی‌شد، و ایمان‌آوردندگان ثواب نیکوکاران را نمی‌یافتند، و واژه‌ها، معانی خود را از دست می‌دادند. در صورتیکه خداوند پیامبران را با عزم و اراده قوی، گرچه با ظاهری ساده، و فقیر مبعوث فرمود، با قناعتی که چشم و

دلها را پرسازد، هر چند فقر و نداری ظاهری آنان چشم و گوشها را خیره سازد. اگر پیامبران الهی، دارای چنان قدرتی بودند که مخالفت با آنان امکان نمی‌داشت، و توانایی و عزتی می‌داشتند که هرگز مغلوب نمی‌شدند، و سلطنت و حکومتی می‌داشتند که همه چشمها به سوی آنان بود، از راههای دور بار سفر به سوی آنان می‌بستند، اعتبار و ارزششان در میان مردم اندک، و متکبران در برابرشان سر فرود می‌آوردند، و تظاهر به ایمان می‌نمودند، از روی ترس یا علاقه‌ای که به مادیات داشتند، در آن صورت نیت‌های خالص یافت نمی‌شد، و علاقه‌ای که به مادیات داشتند، در آن صورت نیت‌های خالص یافت نمی‌شد، و اهداف غیر الهی در ایمانشان راه می‌یافت، و با انگیزه‌های گوناگون به سوی نیکی‌ها می‌شتافتند. اما خدای سبحان! اراده فرمود که پیروی از پیامبران، تصدیق کتب آسمانی، و فروتنی در عبادت، و تسلیم در برابر فرمان خدا، و اطاعت محض فرمانبرداری، با نیت خالص تنها برای خدا صورت پذیرد، و اهداف غیر خدایی در آن راه نیابد، که هر مقدار آزمایش و مشکلات بزرگتر باشد ثواب و پاداش نیز بزرگتر خواهد بود.

فلسفه حج

آیا مشاهده نمی‌کنید که همانا خداوند سبحان، انسانهای پیشین از آدم (ع) تا آیندگان این جهان را با سنگهایی در مکه آزمایش کرد که نه زیان می‌رسانند، و نه نفعی دارند، نه می‌بینند، و نه می‌شنوند، این سنگها را خانه محترم خود قرار داده و آن را عامل پایداری مردم گردانید. سپس کعبه را در سنگلاخ‌ترین مکانها، بی‌گیاه‌ترین زمینها، و کم‌فاصله‌ترین دره‌ها، در میان کوههای خشن، سنگریزه‌های فراوان، و چشمه‌های کم آب، و آبادیهای از هم دور قرار داد، که نه شتر، نه

اسب و گاو و گوسفند، هیچکدام در آن سرزمین در آسایش نیستند. سپس آدم (ع) و فرزندانش را فرمان داد که به سوی کعبه برگردند، و آن را مرکز اجتماع و سرمنزل مقصود و باراندازشان گردانند، تا مردم با عشق قلبها، به سرعت از میان فلات و دشتهای دور، و از درون شهرها، روستاها، دره‌های عمیق، و جزایر از هم پراکنده دریاها به مکه روی آورند، شانه‌های خود را بجنبانند، و گرداگرد کعبه لا اله الا الله بر زبان جاری سازند، و در اطراف خانه طواف کنند، و با موهای آشفته، و بدنهای پر گرد و غبار در حرکت باشند، لباسهای خود را که نشانه شخصیت هر فرد است درآورند، و با اصلاح نکردن موهای سر، قیافه خود را تغییر دهند، که آزمونی بزرگ، و امتحانی سخت، و آزمایشی آشکار است برای پاکسازی و خالص شدن که خداوند آن را سبب رحمت و رسیدن به بهشت قرار داد. اگر خداوند خانه محترمش، و مکانهای انجام مراسم حج را، در میان باغها و نهرها، و سرزمینهای سبز و هموار، و پر درخت و میوه، مناطقی آباد و دارای خانه‌ها و کاخهای بسیار، و آبادیهای به هم پیوسته، در میان گندمزارها و باغات خرم و پر از گل و گیاه، دارای مناظری زیبا و پرآب، در وسط باغستانی شادآفرین، و جاده‌های آباد قرار می‌داد، به همان اندازه که آزمایش ساده بود، پاداش نیز سبک‌تر می‌شد. اگر پایه‌ها و بنیان کعبه، و سنگهایی که در ساختمان آن بکار رفت از زمرد سبز و یاقوت سرخ، و دارای نور و روشنایی بود، دلها دیرتر به شک و تردید می‌رسیدند، و تلاش شیطان بر قلبها کمتر اثر می‌گذاشت و وسوسه‌های پنهانی او در مردم کارگر نبود، در صورتی که خداوند بندگان خود را با انواع سختی‌ها می‌آزماید، و با مشکلات زیاد به عبادت می‌خواند، و به اقسام گرفتاریها مبتلا می‌سازد، تا کبر و خودپسندی را از دل‌هایشان خارج کند، و

بجای آن فروتنی آورد، و درهای فضل و رحمتش را برویشان بگشاید، و وسائل
عفو و بخشش را به آسانی در اختیارشان گذارد.

پرهیز از ستمکاری

پس، خدا را! خدا را! از تعجیل در عقوبت، و کیفر سرکشی و ستم برحذر باشید،
و از آینده دردناک ظلم، و سرانجام زشت تکبر و خودپسندی که کمین‌گاه ابلیس
است، و جایگاه حيله و نیرنگ اوست، بترسید، حيله و نیرنگی که با دلهای
انسانها، چون زهر کشنده می‌آمیزد، و هرگز بی‌اثر نخواهد بود، و کسی از
هلاکتش جان سالم نخواهد برد، نه دانشمند به خاطر دانشش، و نه فقیر به جهت
لباس کهنه‌اش، در امان نیست.

فلسفه عبادات اسلامی

خداوند بندگانش را، با نماز و زکات و تلاش در روزه‌داری، حفظ کرده است، تا
اعضا و جوارحشان آرام، و دیدگان‌شان خاشع، و جان و روان‌شان فروتن و
دلهایشان متواضع باشد، کبر و خودپسندی از آنان رخت بریندد و برای آنکه در
سجده، بهترین جای صورت را بخاک مالیدن فروتنی آورد، و گذاردن اعضاء
پرارزش بدن بر زمین، اظهار کوچکی کردن است، و روزه گرفتن، و چسبیدن
شکم به پشت، مایه تواضع کردن است، و پرداخت زکات، برای مصرف شدن
میوه‌جات زمین و غیر آن، در جهت نیازمندیهای فقرا و مستمندان است. به آثار
عبادات بنگرید که چگونه شاخه‌های درخت تکبر را درهم می‌شکنند، و از
رویدن کبر و خودپرستی جلوگیری می‌کند.

تعصب ورزیدن زشت و زیبا

من در اعمال و رفتار جهانیان نظر دوختم، هیچ کس را نیافتم که بدون علت درباره چیزی تعصب ورزد، و با آن ناآگاهان را بفریبد. و یا برهانی آورد که در عقل عاقلان نفوذ کند، جز شما، زیرا درباره چیزی تعصب می‌ورزید که نه علتی دارد و نه سببی، ولی شیطان به خاطر اصل خلقت خود بر آدم (ع) تعصب ورزید، و آفرینش او را مورد سرزنش قرار داد و گفت: (مرا از آتش و تو را از گل ساخته‌اند). و سرمایه‌داران فسادزده امتهای، برای داشتن نعمتهای فراوان تعصب ورزیدند و گفتند: (ما صاحبان فرزندان و اموال فراوانیم و هرگز عذاب نخواهیم شد). پس اگر در تعصب ورزیدن ناچارید، برای اخلاق پسندیده، افعال نیکو، و کارهای خوب تعصب داشته باشید، همان افعال و کرداری که انسانهای باشخصیت، و شجاعان خاندان عرب، و سران قبائل در آنها از یکدیگر پیشی می‌گرفتند، یعنی اخلاق پسندیده، بردباری به هنگام خشم فراوان، و کردار و رفتار زیبا و درست، و خصلتهای نیکو، پس تعصب ورزید در حمایت کردن از نیکی‌ها، سرپیچی از تکبر و خودپسندیها، تلاش در جود و بخشش، خودداری از ستمکاری، بزرگ شمردن خونریزی، انصاف داشتن با مردم، فرو خوردن خشم، پرهیز از فساد در زمین، تا رستگار شوید.

علل پیروزی و شکست ملتها

از کیفیهایی که بر اثر کردار بد و کارهای ناپسند بر امتهای پیشین فرو آمد پرهیزید، و حالات گذشتگان را در خوبیها و سختی‌ها به یاد آورید، و بترسید که همانند آنها باشید، پس آنگاه که در زندگی گذشتگان مطالعه و اندیشه می‌کنید، عهده‌دار چیزی باشید که عامل عزت آنان بود، و دشمنان را از سر راهشان برداشت، و سلامت و عافیت زندگی آنان را فراهم کرد، و نعمتهای فراوان را

در اختیارشان گذاشت، و کرامت و شخصیت به آنان بخشید، که از تفرقه و جدایی اجتناب کردند، و بر وحدت و همدلی همت گماشتند، و یکدیگر را به وحدت واداشتند و سفارش کردند. و از کارهایی که پشت آنها را شکست، و قدرت آنها را درهم کوبید، چون کینه‌توزی با یکدیگر، پر کردن دلها از بخل و حسد، به یکدیگر پشت کردن و از هم بریدن، و دست از یاری هم کشیدن، پرهیزید. و در احوالات مومنان پیشین اندیشه کنید، که چگونه در حال آزمایش و امتحان بسر بردند، آیا بیش از همه مشکلات بر دوش آنها نبود؟ و آیا بیش از همه مردم در سختی و زحمت نبودند؟ و آیا از همه مردم جهان بیشتر در تنگنا قرار نداشتند؟ فرعونهای زمان، آنها را به بردگی کشانند، و همواره بدترین شکنجه‌ها را بر آنان وارد کردند، و انواع تلخی‌ها را به کامشان ریختند، که این دوران ذلت و هلاکت و مغلوب بودن، تداوم یافت نه راهی وجود داشت که سرپیچی کنند، و نه چاره‌ای که از خود دفاع نمایند، تا آنکه خداوند، تلاش و استقامت و بردباری در برابر ناملایمات آنها را، در راه دوستی خود، و قدرت تحمل ناراحتی‌ها را برای ترس از خویش، مشاهده فرمود. انسان را از تنگناهای بلا و سختی‌ها نجات داد، و ذلت آنان را به عزت و بزرگواری، و ترس آنها را به امنیت تبدیل فرمود، و آنها را حاکم و زمامدار و پیشوای انسانها قرار داد، و آن قدر کرامت و بزرگی از طرف خدا به آنها رسید که خیال آن را نیز در سر نمی‌پروراندند. پس اندیشه کنید که چگونه بودند؟ آنگاه که: وحدت اجتماعی داشتند، خواسته‌های آنان یکی، قلبهای آنان یکسان، و دستهای آنان مددکار یکدیگر، شمشیرها یاری‌کننده، نگاهها به یکسو دوخته، و اراده‌ها واحد و همسو بود، آیا در آن حال مالک و سرپرست سراسر زمین نبودند؟ و رهبر و پیشوای

همه دنیا نشدند؟ پس به پایان کار آنها نیز بنگرید! در آن هنگام که به تفرقه و پراکندگی روی آوردند، و الفت و دوستی آنان از بین رفت و سخنها و دلهایشان گوناگون شد، از هم جدا شدند، به حزبه‌ها و گروه‌ها پیوستند، خداوند لباس کرامت خود را از تنشان بیرون آورد، و نعمتهای فراوان شیرین را از آنها گرفت، و داستان آنها در میان شما عبرت‌انگیز باقی ماند.

از حالات زندگی فرزندان اسماعیل پیامبر، و فرزندان اسحاق پیامبر، فرزندان اسرائیل (یعقوب) (که درود بر آنان باد) عبرت بگیرید، راستی چقدر حالات ملت‌ها با هم یکسان، و در صفات و رفتارشان با یکدیگر همانند است. در احوالات آنها روزگاری که از هم جدا و پراکنده بودند اندیشه کنید، زمانی که پادشاهان کسری و قیصر بر آنان حکومت می‌کردند، و آنها را از سرزمینهای آباد، از کناره‌های دجله و فرات، و از محیطهای سرسبز و خرم دور کردند، و به صحراهای کم‌گیاه، و بی‌آب و علف، محل وزش باده‌ها، و سرزمینهایی که زندگی در آنها مشکل بود تبعید کردند، آنان را در مکانهای نامناسب، مسکین و فقیر، همنشین شتران ساختند، خانه‌هاشان پست‌ترین خانه ملت‌ها، و سرزمین زندگیشان خشک‌ترین بیابانها بود، نه دعوت حقی وجود داشت که به آن روی آورند و پناهنده شوند، و نه سایه الفتی وجود داشت که در عزت آن زندگی کنند، حالات آنها دگرگون، و قدرت آنها پراکنده، و جمعیت انبوهشان متفرق بود، در بلایی سخت، و در جهالتی فراگیر فرو رفته بودند، دختران را زنده به گور، و بت‌ها را پرستش می‌کردند، و قطع رابطه با خویشاوندان، و غارتگری‌های پیاپی در میانشان رواج یافته بود.

ره‌آورد بعثت پیامبر اسلام (ص)

حال به نعمتهای بزرگ الهی که به هنگامه بعثت پیامبر (ص) بر آنان فرو ریخت بنگرید، که چگونه اطاعت آنان را با دین خود پیوند داد؟ و با دعوتش آنها را به وحدت رساند؟ چگونه نعمتهای الهی بالهای کرامت خود را بر آنان گستراند، و جویبارهای آسایش و رفاه برایشان روان ساخت؟ و تمام برکات آیین حق آنها را دربرگرفت؟ در میان نعمتها غرق گشتند، و در خرمی زندگانی شادمان شدند، امور اجتماعی آنان در سایه قدرت حکومت اسلام استوار شد، و در پرتو عزتی پایدار آرام گرفتند، و به حکومتی پایدار رسیدند، پس آنان حاکم و زمامدار جهان شدند، و سلاطین روی زمین گردیدند، و فرمانروای کسانی شدند که در گذشته حاکم بودند، و قوانین الهی را بر کسانی اجرا می‌کنند که آنها مجریان احکام بودند، و در گذشته کسی قدرت درهم شکستن نیروی آنان را نداشت، و هیچ کس خیال مبارزه با آنان را در سر نمی‌پروراند.

علل نکوهش و سقوط کوفیان

آگاه باشید که شما هم اکنون دست از رشته اطاعت کشیدید، و با زنده کردن ارزشهای جاهلیت، دژ محکم الهی را درهم شکستید، در حالی که خداوند بر این امت اسلامی بر (وحدت و برادری) منت گذارده بود، که در سایه آن زندگی کنند، نعمتی بود که هیچ ارزشی نمی‌توان همانند آن تصور کرد، زیرا از هر ارزشی گران‌قدرتر، و از هر کرامتی والاتر بود. بدانید که پس از هجرت، دوباره چونان اعراب بادیه‌نشین شده‌اید، و پس از وحدت و برادری به احزاب گوناگون تبدیل گشته‌اید، از اسلام تنها به نام آن، و از ایمان جز نشانی را نمی‌شناسید. شعار می‌دهید: آتش، آری، ننگ هرگز! گویا می‌خواهید اسلام را واژگون، و پرده حرمتش را پاره کنید؟ و پیمانی را که خدا برای حفظ حرمت مسلمین در زمین،

و عامل امنیت و آرامش مردم قرار داد بشکنید؟ همانا اگر شما به غیر اسلام پناه برید، کافران با شما نبرد خواهند کرد. آنگاه نه جبریل و نه میکائیل، نه مهاجر و نه انصار، وجود ندارند که شما را یاری دهند، و چاره‌ای جز نبرد با شمشیر ندارند تا خدا در میان شما حکم فرماید. مردم، مثل‌های قرآن درباره کسانی که عذاب و کیفر شدند، و روزهای سخت آنان، و آسیب‌های شدیدی که دیدند در نزد شماست، پس وعده عذاب خدا را دور مپندارید، و به عذر اینکه آگاهی ندارید خود را گرفتار نسازید، و انتقام خدا را سبک، و خود را از کیفر الهی ایمن مپندارید، زیرا که خدای سبحان، مردم روزگاران گذشته را از رحمت خود دور نساخت مگر برای ترک امر به معروف، و نهی از منکر، پس خدا، بیخردان را برای نافرمانی، و خردمندان را برای ترک بازداشتن دیگران از گناه، لعنت کرد. آگاه باشید! شما رشته پیوند با اسلام را قطع، و اجرای حدود الهی را تعطیل، و احکام اسلام را به فراموشی سپردید.

قاطعیت امام در نبرد با منحرفان

آگاه باشید! خداوند مرا به جنگ با سرکشان تجاوزکار، پیمان‌شکنان، فسادکنندگان در زمین فرمان داد، با ناکثان پیمان‌شکن جنگیدم، و با قاسطین تجاوزکار جهاد کردم، و مارقین خارج شده از دین را خوار و زبون ساختم و رهبر خوارج (شیطان ردهه) بانگ صاعقه‌ای قلبش را به تپش آورد و سینه‌اش را لرزاند و کارش را ساخت، حال تنها اندکی از سرکشان و ستمگران باقی ماندند، که اگر خداوند مرا باقی گذارد با حمله دیگری نابودشان خواهم کرد، و حکومت حق را در سراسر کشور اسلامی پایدار خواهم نمود، جز مناطق پراکنده و دوردست.

سوابق درخشان شجاعت و فضائل امام (ع)

من در خردسالی، بزرگان عرب را به خاک افکندم، و شجاعان دو قبیله معروف (ریعه) و (مضر) را درهم شکستم، شما موقعیت مرا نسبت به رسول خدا (ص) در خویشاوندی نزدیک، در مقام و منزلت ویژه می‌دانید، پیامبر مرا در اتاق خویش می‌نشانند، در حالی که کودک بودم مرا در آغوش خود می‌گرفت، و در استراحتگاه مخصوص خود می‌خوابانید، بدنش را به بدن من می‌چسباند، و بوی پاکیزه خود را به من می‌بویاند، و گاهی غذایی را لقمه لقمه در دهانم می‌گذارد، هرگز دروغی در گفتار من، و اشتباهی در کردارم نیافت. از همان لحظه‌ای که پیامبر (ص) را از شیر گرفتند، خداوند بزرگترین فرشته خود را مامور تربیت پیامبر (ص) کرد تا شب و روز، او را به راههای بزرگواری و راستی و اخلاق نیکو راهنمایی کند، و من همواره با پیامبر بودم چونان فرزند که همواره با مادر است، پیامبر (ص) هر روز نشانه تازه‌ای از اخلاق نیکو را برایم آشکار می‌فرمود، و به من فرمان می‌داد که به او اقتداء نمایم، پیامبر (ص) چند ماه از سال را در غار حراء می‌گذراند، تنها من او را مشاهده می‌کردم، و کسی جز من او را نمی‌دید، در آن روزها، در هیچ خانه مسلمانی راه نیافت جز خانه رسول خدا(ص) که خدیجه هم در آن بود و من سومین آنان بودم، من نور وحی و رسالت را می‌دیدم، و بوی نبوت را می‌بوییدم. من هنگامی که وحی بر پیامبر (ص) فرود می‌آمد، ناله شیطان را شنیدم، گفتم ای رسول خدا، این ناله کیست؟ گفت: شیطان است که از پرستش خویش مایوس گردید و فرمود: (علی! تو آنچه را من می‌شنوم، می‌شنوی، و آنچه را که من می‌بینم، می‌بینی، جز اینکه تو پیامبر نیستی، بلکه وزیر من بوده و به راه خیر می‌روی).

خیره‌سری و دشمنی سران قریش

من با پیامبر (ص) بودم آنگاه که سران قریش نزد او آمدند و گفتند: (ای محمد (ص) تو ادعای بزرگی کردی، که هیچیک از پدران و خاندانت نکردند، ما از تو معجزه‌ای می‌خواهیم، اگر پاسخ مثبت داده، انجام دهی، می‌دانیم تو پیامبر و فرستاده خدایی، و اگر از انجام آن سر باز زنی، خواهیم دانست که ساحر و دروغگویی.) پس پیامبر (ص) فرمود: (شما چه می‌خواهید؟) گفتند: (این درخت رابخوان تا از ریشه کنده‌شده و در پیش تو بایستد.) پیامبر (ص) فرمود: خداوند بر همه چیز تواناست. حال اگر خداوند این کار را بکند آیا ایمان می‌آورید؟ و به حق شهادت می‌دهید؟ گفتند: آری، پیامبر (ص) فرمود: من بزودی نشاتتان می‌دهم آنچه را که درخواست کردید، و همانا بهتر از هر کس می‌دانم که شما به خیر و نیکی باز نخواهید گشت، زیرا در میان شما کسی است که کشته‌شده و در چاه (بدر) دفن خواهد شد، و کسی است که جنگ احزاب را تدارک خواهد کرد، سپس به درخت اشاره کرد و فرمود: (ای درخت! اگر به خدا و روز قیامت ایمان داری، و می‌دانی من پیامبر خدایم، از زمین با ریشه‌هایت درآی، و به فرمان خدا در پیش روی من قرار گیر.) سوگند به پیامبری که خدا او را به حق مبعوث کرد، درخت با ریشه‌هایش از زمین کنده‌شده، و پیش آمد که با صدای شدید چونان به هم خوردن بال پرنده‌گان، یا به هم خوردن شاخه‌های درختان، جلو آمد و در پیش روی پیامبر (ص) ایستاد که برخی از شاخه‌های بلند خود را بر روی پیامبر (ص) و بعضی دیگر را روی من انداخت و من در طرف راست پیامبر (ص) ایستاده بودم، وقتی سران قریش این منظره را مشاهده کردند، با کبر و غرور گفتند: (به درخت فرمان ده، نصفش جلوتر آید، و نصف دیگر در جای

خود بماند.) پیامبر (ص) فرمان داد. نیمی از درخت با وضعی شگفت آور و صدایی سخت به پیامبر (ص) نزدیک شد گویا می خواست دور آنحضرت بپیچد، اما سران قریش از روی کفر و سرکشی گفتند: (فرما ده این نصف باز گردد و به نیم دیگر ملحق شود، و به صورت اول درآید.) پیامبر (ص) دستور داد و چنان شد، من گفتم: لا اله الا الله ای رسول خدا من نخستین کسی هستم که به تو ایمان آوردم، و نخستین فردی هستم اقرار می کنم که درخت با فرمان خدا برای تصدیق نبوت و بزرگداشت دعوت رسالت، آنچه را خواستی انجام داد، اما سران قریش همگی گفتند: (او ساحری است دروغگو، که سحری شگفت آور دارد، و سخت بامهارت است) و خطاب به پیامبر (ص) گفتند: (آیا نبوت تو را کسی جز امثال علی (ع) باور می کند؟)

الگوهای کامل ایمان

و همانان از کسانی هستم که در راه خدا از هیچ سرزنی نمی ترسند، کسانی که سیمای آن ها سیمای صدیقان، و سخنانشان، سخنان نیکان است، شب زنده داران و روشنی بخش روزند، به دامن قرآن پناه برده و سنتهای خدا و رسولش را زنده می کنند، نه تکبر و خودپسندی دارند، و نه بر کسی برتری می جویند، نه خیانتکارند، و نه در زمین فساد می کنند، قلبهایشان در بهشت، و پیکرهایشان سرگرم اعمال پسندیده است.